

معنى الإيمان

شعار جامعاتنا في هذه الأيام، الإضرابات والثورات والمظاهرات. أما الإيمان فبالنسبة لأبناء الجيل ضعيف فهل لك أن تشرح لي معنى الإيمان؟

سؤال من: السيد أ. ع. الدار البيضاء - مراكش

أبسط تعريف للإيمان ما كتبه الرسول بولس: «وَمَا إِلِّيَّمَنُ فَهُوَ الْتِقَةُ بِمَا يُرْجَى وَإِلِيقَانُ بِأُمُورٍ لَا تُرَى... بِإِلِيمَانِ نَفْهُمُ أَنَّ الْعَالَمِينَ أُتْقِنُتُ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يُرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ... وَلَكِنْ بِدُونِ إِيمَانٍ لَا يُمْكِنُ إِرْضَاوُهُ، لَأَنَّهُ يَحِبُّ أَنَّ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللَّهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ» (عبرانيين ٦: ١١)

والإيمان ليس هو ضعف، كما قلت في مكتوبك. على العكس أنه قوة تذلل الصعاب، وتذكرني الصبر. وخصوصاً إذا كان المؤمن مصلياً. لأن الذي يصلني بإيمان يشرك الله في شؤونه، فتصبح نواياه طاهرة وأعماله صالحة.

أما الأدلة على صحة هذا التعريف للإيمان فهي:

١. إن هذا هو المعنى الحقيقي لكلمة إيمان، في كل أبواب البحث. فنؤمن بحوادث تاريخية، بناء على شهادة المؤرخين. ونؤمن بالحقائق العلمية بناء على شهادة العلماء. ونؤمن بخبر الخلق، والسقوط والفداء بناء على شهادة الكتب المقدسة، التي أُوحى بها من الله. ومن شهادة الوحي نؤمن بـأن الله أرسل ابنه يسوع المسيح كفاراة لخطايانا. وكذلك نؤمن بكل ما كتبه رجال الله القديسون مسوقين من الروح القدس عن النعمة المجانية، كالتجديد والتبرير والتقديس، واتحاد المؤمنين بالمسيح. وبالقيامة والدينونة. فإن هذه كلها نقلها بناء على شهادة الله بالوحي المكتوب.

٢. في العهد الجديد نرى أن الإيمان يستند على شهادة الرب يسوع المسيح. فقد قال له المجد لنبيه يعقوب موسى: «إِنَّا إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ بِمَا نَعْلَمُ وَنَشْهُدُ بِمَا رَأَيْنَا» (يوحنا ٣: ١١).

وقال يوحنا المعمدان عن المسيح: «الَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقٍ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيع... وَمَا رَأَهُ وَسَمِعَهُ بِهِ يَشْهُدُ، وَشَهَادَتُهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْبَلُهَا. وَمَنْ قَبَلَ شَهَادَتَهُ فَقَدْ خَتَمَ أَنَّ اللَّهَ صَادِقٌ» (يوحنا ٣: ٣٣-٣١).

وكذلك الرسل كانوا شهوداً، فقد عينهم الرب الفادي للشهادة إذ قال لهم: «وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرِيَّةِ وَإِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ» (أعمال الرسل ١: ٨). في الواقع أن أعظم ما اعترض به على رسل المسيح في بلاد اليونان، أنهم لم ينادوا

بتعاليمهم كقضايا تستند على البرهان العقلي. وقد أجاب بولس على هذا الاعتراض بقوله: «وَكَلَامِي وَكَرَازَتِي لَمْ يَكُونَا بِكَلَامِ الْحِكْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُقْنِعِ، بَلْ بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ، لِكَيْ لَا يَكُونَ إِيمَانُكُمْ بِحِكْمَةِ النَّاسِ بَلْ بِقُوَّةِ اللَّهِ. لَكِنَّنَا نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةٍ بَيْنَ الْكَامِلِينَ، وَلَكِنْ بِحِكْمَةٍ لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الدَّهْرِ، وَلَا مِنْ عُظَمَاءِ هَذَا الدَّهْرِ، الَّذِينَ يُبْطَلُونَ. بَلْ نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللَّهِ فِي سِرِّ الْحِكْمَةِ الْمَكْتُومَةِ، الَّتِي سَبَقَ اللَّهَ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا، الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هَذَا الدَّهْرِ لَأَنَّ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ» (اكورنثوس ٢ : ٤-٨) لأنّ الرسول يقول: إن الفلسفة هي الحكمة البشرية، لا تستطيع أن تبلغ القضايا العظمى بالله وبأعماله، وبالخطية والفساد بالصليب وغير ذلك من الأمور التي حسبوها جهالة فقد قالوا أن المبادئ التي نادى بها، لم تكن من حقائق العقل، بل من الإعلان. والتي يجب أن نصدقها لا بناء على مواقفها للعقل، بل بناء على سلطان الله. وأن الرسل مثل سيدهم لم يكونوا فلاسفة بل شهوداً. وأنهم لم يبرهنو بكلام الحكمة الإنسانية، وإنما نادوا بمشورات الله. وأكملوا أن الإيمان بتعاليمهم يجب أن يكون مبنياً على شهادة الله الصادقة لا على حكمة البشر.

والخلاصة أن موضوع الإيمان هو إعلان الله، وأساسه شهادة الله. فمن قبل هذه الشهادة فقد أقر بأن الله صادق. ومن رفضها يجعله كاذباً. هذا هو تعليم الكتاب المقدس المستمر والأساس الذي يبني على إيماننا.

أنواع الإيمان

الإيمان على عدة أنواع، فقد يكون عقلياً، مركزه العقل. فإن كثريين يعتقدون أن الكتاب المقدس كلام الله، ويقبلون كل تعاليمه، ولكن ذلك لا يكون إلا اعتقاد العقل.

وقد يكون مركزه الضمير، الذي يشهد بصدق الحق، ويحيث الإنسان على التسليم والعمل بموجبه. غير أن حث الضمير، فقد يجد مقاومة فلا نعمل بموجبه. وهذا النوع من الإيمان كالزرع، الذي ليس له أصل فيجف بعد قليل ويبيس.

وقد يكون الإيمان تصديق الحق، باشتراك العقل والضمير والقلب. لا سيما قبول التعاليم في المسيح وعلم الفداء. فهو يجعلنا متدينين بالمخلص وأعضاء حية في جسده. ويعطينا نصيباً من كل فوائد الفداء، ويعمل بالمحبة، ويثرث ثماراً صالحة. هذا هو الإيمان الصحيح الحي.

ومن نتائج ذلك الإيمان الحي، تقدير النفس على فهم الحقائق الروحية، حتى نرى فضل الحق وجماله، وتميز معناه الروحي. وكذلك نقنع به وتثمر ثمار الإيمان، وهي القدسية.

وذكر في الكتاب المقدس أن الإيمان هو من ثمار الروح، وأنه هبة من الله (أفسس ٢: ٨) وأنه مؤسس على شهادة الروح القدس الذي يقود النفس إلى الإيمان الحي ويحدث تغييراً تاماً فيها.

خصائص الإيمان الصحيح

١. التصديق، فهو يسلم بصدق الأسفار المقدسة، وبحقيقة الخلاص المعد لنا بال المسيح، وبصحة أنباء الكتاب المقدس بحال الإنسان الطبيعي الساقطة، و حاجته إلى المسيح. على أن هذه الخاصة التي هي عقلية في جوهرها، لا تكفي للخلاص وإنما تهدي الإنسان إلى طريق الإيمان الخلاصي.
٢. الاقناع العقلي والقلبي بموافقة عمل الفداء لاحتياج النفس الساقطة، والشكر والحمد لله. لأنه أوجد وسيلة للخلاص بالمسيح. وأعدها مجاناً بالنعمة لجنسنا الساقط. على أن الخلاص لا يتم فقط بالتصديق العقلي، أو بالاقناع القلبي المقترب بالشكر، وإنما يقود الإنسان إلى نعم خلاصية أخرى.
٣. الاتكال على المسيح، باعتبار كونه ربنا ومخلصنا. وهذا يستلزم الاعتراف بآثامنا، وهدم استحقاقنا وقبول المسيح مخلصاً شخصياً. والتمسك به واسطة وحيدة للغفران والتکفير عن الذنب، والحياة الروحية، وفقاً للقول الرسولي: «ولَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلَاصُ». لأنَّ لَيْسَ أَسْمُ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَتَبَعِّغِي أَنْ تَخْلُصَ» (أعمال الرسل ٤: ١٢).

موضوع الإيمان

للإيمان موضوعان، موضوع عام يتناول المعلمات الإلهية جميعها، وموضوع خاص هو المسيح الفادي، بمعنى أن الإيمان الخلاصي معتمده الوعد الإلهي بالخلاص بالمسيح. والأدلة على أن هذا هو موضوع الإيمان الخاص كثيرة منها:

١. شهادة المسيح، فقد قال له المجد: «لَأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللَّهُ أَبْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَا يُدَانُ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لَأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِإِسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ» (يوحنا ٣: ١٧ و ١٨). «لَأَنَّ هَذِهِ هِيَ مَشِيشَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الْابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ» (يوحنا ٦: ٤٠).

٢. تعليم الرسل، فقد قال الرسول بولس: «وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللَّهِ بِدُونِ النَّامُوسِ، مَشْهُودًا لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالْأَنْبِيَاءِ، بِرُّ اللَّهِ بِالإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ... مُتَبَرِّرِينَ مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفَدَاءِ الَّذِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ كَفَارَةً بِالإِيمَانِ بِدِمِهِ، لِإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفةِ بِإِمْهَالِ اللَّهِ» (رومية ٣: ٢١-٢٥). «إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لَا بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ» (غلاطية ٢: ١٦).

فكون المسيح بذل نفسه فدية عن كثيرين، فالناس يخلصون باستحقاق بره. ولأنه قدّم نفسه ذبيحة إثم عن خطايانا صار لنا امتياز المصالحة مع الله، وبالتالي يجعلنا نظام الخلاص أن نتكل عليه ونجعله موضوعاً لإيماننا وأساساً لثقتنا.

ويقيناً أن كل مؤمن حقيقي يقبل المسيح، ويتخذه مخلصاً ومنجياً من شر الخطية، ومحراً من سلطة الشيطان. وأنه يتخذه برأ وقداسة وفاء. ويعتبره إلهاً ومخلصاً. وهذا يتضمن الخضوع لكل تعاليمه، والاتكال على بره وفادائه، ووقف النفس لخدمته. وما أجمل أن نقبله كما هو مقدم لنا،نبياً وكاهناً وملكاً، ومصدر السعادة، وموضوع العبادة.

نتائج الإيمان

١. الاتحاد بال المسيح: كما هو مكتوب: «لَاَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّهِدِينَ مَعَهُ بِشَبِيهِ مَوْتِهِ، نَصِيرُ أَيْضًا بِقِيَامَتِهِ. عَالَمِينَ هَذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِّبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ، كَيْ لَا نَعُودْ نُسْتَعْبُدْ أَيْضًا لِلْخَطِيَّةِ» (رومية ٦: ٥ و ٦). واتحادنا بال المسيح يكون بحلوله فينا وفقاً لقول الرسول: «لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ، وَأَنْتُمْ مُتَّأْصِلُونَ وَمُتَّأْسِسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ» (أفسس ٣: ١٧ و ١٨).

٢. التبرير: فقد جاء في الكلمة الرسولية: «إِذَا لَا شَيْءَ مِنَ الدِّينُونَةِ الْآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ» (رومية ٨: ٨) «مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللَّهِ؟ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ! مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ الْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلْ بِالْحَرَقِ قَامَ أَيْضًا، الَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ اللَّهِ، الَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا» (رومية ٨: ٣٣ و ٣٤).

٣. السلام: قال الرسول: «فَإِذَا قَدْ تَبَرَّنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلَامٌ مَعَ اللَّهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا قَدْ صَارَ لَنَا الدُّخُولُ بِالإِيمَانِ، إِلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا

مُقِيمُونَ» (رومية ٥ : ١ و ٢). فالسلام ينشأ عن المصالحة المبنية على وعد الله بأن يصفح عن كل الذين يؤمنون بالشهادة التي شهد بها الله عن ابنه، ويسامحهم ويقبلهم ويخصلهم. الواقع أن تصدقنا هذا الوعد ونسبتا إياه إلى أنفسنا هو تصدقنا أننا متصالحون مع الله.

٤. التقديس: قيل في الكتاب أن الإيمان يعمل بالمحبة (غلاطية ٥ : ٦) وجاء في سفر الأعمال أن الإيمان يظهر قلوبنا (أعمال الرسل ١٥ : ٩).

أجل إننا بالإيمان نتبرر، يبررنا دم يسوع المسيح ويظهر قلوبنا من أعمال ميته لخدم الله الحي (عبرانيين ٩ : ١٤).

٥. تأكيد الخلاص: فقد قال المسيح: «لَا تَأْنَهُ هَكَذَا أَحَبُّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى يَدْلِي بَذَلَ أُبْنَاهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ» (يوحنا ٣ : ٦).